أنصار السنة وأشياع التصوف (١)[١]

يفرض علينا الله سبحانه أن ندعو إلىٰ الخير، وأن نأمر بالمعروف وأن ننهي عن المنكر: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومن المنكر الغليظ الذي عنيت أنصار السنة بالنهي عنه، ذلك المنكر الذي يدعىٰ بالتصوف، لأننا نؤمن عن بصيرةٍ وعن بيِّنة أنه قيء الكفر وكيد الشيطان الخلوب، وأنه ما أضر بالمسلمين، وأوهن منهم العقائد، وهوىٰ منهم بالخلق، وأفقدهم الإيمان بجليل القيم، وبجلال المقدار والتضحية - شيء كالتصوف!! حسبنا منه أنه يوجب علينا أن نعتنق اليهودية، وأن نؤمن بأنها روحانية الإسلام!! وقد أقمنا علىٰ ما قلنا البراهين القاطعة والحجج الساطعة، مؤيدة بعشرات النقول من أهم كتب الصوفية.

ولكنا لم نجد من أشياع التصوف سوىٰ اللياذ بجبانة التقية، تبرز في دعاوىٰ طالما ادعتها من قبل كل فئة قامت تعمل لتهدم الإسلام بالكيد الحقود، والتآمر الأصم المنكود!!

تلك الدعاوىٰ هي أن التصوف يمثل روحانية الإسلام العليا، أو هو حقيقته السامية التي ضل عن إدراكها علماء الشرع، أو علماء الظاهر، أو علماء الرسوم والعادات!!

ثم تدرع هذه الدعاوىٰ المفتونة ببهرجها ببضع كلمات وردت علىٰ ألسنة

---

[١] (١١ / ١٣٨١هـ).

بعض شيوخ الصوفية، قالوها لتكون قناعًا يخفي وجه هذه الأمشاج القذرة من الحقد اليهودي، والمجانة المجوسية والمادية الوثنية، والتي تجمعت في وحدة سميت فيها تصوفًا، ومن تلك الكلمات: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) إنها دعوىٰ!! ولا تلقىٰ - لو أنها كانت حقًّا - من قلب المسلم إلا هشاشته وبشاشته، وحنوه عليها بكل مشاعره ولكنها - ويا حسرتىٰ أصحابها عليها - لا تجد لها أثارة من بيِّنة لا من تاريخ رجال التصوف، ولا من تراثهم العفن!!.

إنها بسمة النفاق، وهو يقترف السجود في المحاريب ولمعة الخنجر المسموم يحسبها الجاهل بريق لؤلؤة!!.

ولقد زعمها كثيرون، وما من فئة نجمت؛ للقضاء علىٰ الإسلام إلا زعمتها؛ لتجعل منها خيط العنكبوت الذي تصطاد به الذباب. وما أكثر الذباب الذي يستهويه مثل هذه العفونة من قذارة النفاق. وإني لأتحدىٰ بكتاب الله كل أشياع التصوف أن يدلونا مجتمعين متعاونين علىٰ كتيب واحد من كتب التصوف فيه من الكتاب إشراق، ومن السنة عبير، أو من الإيمان روحانية!!.

إن الدعوىٰ لا تكلف صاحبها إلا النطق بها، وكل امرئ يستطيع أن يدعي ما شاء، ما دام في ردغة الجرأة التي لا يعصمها دين ولا يسيطر عليها ضمير، ولا يوجهها خلق كريم، ألم يزعم الشيطان أنه خير من آدم؟ ألم يزعم المشركون أنهم مؤمنون؟ ألم تزعم الباطنية أنها الحقيقة العليا في الدين؟ ألم يزعم التصوف أنه إسلام؟! غير أن صاحب هذه الدعوىٰ لن يستطيع أن يقنع صاحب عقل بدعواه ما لم يكن معه برهانها. فليأتنا المتصوف علىٰ دعواه بأثارة من برهان تدلنا علىٰ أن التصوف ينتسب إلىٰ الإسلام في ماضيه أو في حاضره؟ سواء أكان تصوف

الإشراقيين، أم كان تصوف المخابيل المفاليك العمليين - كما يزعمون - أمثال الشعراني أو أعوانه!! كان لا بد لي من أن أقول هذا قبل أن أباشر مناقشة رجل كان في يوم ما - وإن كان هو لا يذكر - أستاذًا لنا في كلية أصول الدين، وهو الأستاذ الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي(١)، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية آداب القاهرة، ولن يمنعني أبدًا أنه كان الأستاذ من أن أقول له ما يجب أن يقول الحق لمن يحاول العدوان عليه، فقد وقف الأستاذ الدكتور بين طلبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية - وكلهم من حملة الإجازات العليا - يحاضرهم عن التصوف!!

ولا أدري ماذا في التصوف، حتىٰ يحكم علىٰ هؤلاء الطلبة الأساتذة بالإصغاء إليه، فما فيه من خلق رضيّ، ولا فكر سوي، وإنما فيه نفايات من كل باطل وزندقة وضلالة.

ثم نال الأستاذ الدكتور من جماعة أنصار السنة المحمدية؛ لأنهم ينالون من قدسية التصوف، أو لأنهم يحذرون المسلمين من بدعة ملعونة تتراءىٰ في شفٍّ تزعم به أنها الحب الإلهي في سحره وجلاله وإشراقه الأعظم، ونحن لا يضيرنا أن ينال منا الأستاذ الدكتور، ولم يُثِرْنا إلىٰ القلم أنه اتهمنا بما يتهمنا به التصوف دائمًا،

---

(١) هو الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي، ولد سنة (١٩٠٤م)، حصل علىٰ الماجستير وكان موضوعه: (نظرية الجوهر عند ديكارت وسينوزا) بالفرنسية، ونال الدكتوراة في الفلسفة وكان موضوعها: (ابن الفارض والحب الإلهي)، عمل مدرسًا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، ومدرسًا بكلية الآداب جامعة القاهرة، له العديد من المؤلفات من أشهرها: ابن الفارض سلطان العاشقين، توفي سنة (١٩٦٩م). (ض).

وإنما أثارنا إليه، وسيظل يثيرنا إليه - ما حيينا - محاولة من الدكتور الجليل تجهده كل الجهد، تلك هي أن يحمل طلبته علىٰ الإيمان بقداسة التصوف، وبأنه إسلام!!.

هذا ما يثيرنا إلىٰ القلم، ويدفع بنا إلىٰ القضاء علىٰ هذه المحاولة بالحجة القاطعة، ونحن نقول للدكتور الجليل: لك أن تدرس التصوف، ولكن ليس لك أن تطلب من تلاميذك الأساتذة الإيمان بأن التصوف نبعة إسلامية، وإشراقة روحانية، ففي هذا خروج عن مهمتك كأستاذ دُعِيَ ليدرس مادة تمثل لونًا من ألوان الثقافات التي نجمت في البيئة الإسلامية عن أصول غير إسلامية، فهذه مهمته، أما أن يدرسها الدكتور باعتبارها دينًا يتقرب به إلىٰ الله، فهذا ما لا يصح السكوت عنه أبدًا، ولا سيما ونحن نعرف أن الأستاذ الجليل عميد المعهد، والكثير من أساتذة المعهد يعرفون حقيقة التصوف، ويعرفون أنه يناقض الإسلام في أصوله وفروعه.

ولقد بذل الدكتور ما بذل من جهد في كثير من كتبه وأهمها: (الحياة الروحية في الإسلام، وابن الفارض، والحب الإلهي)، بذل الجهد العنيف المضني لعله يستطيع أن يثبت للمسلمين أن التصوف إسلام، فما زاد علىٰ أنه جعل المسلمين يأسفون أشد الأسف لهذا الجهد القوي الفتي المضيع، إذ كل ما نتج عن مجهود الدكتور هو أنه أثبت الحقيقة التي حاول أن يسدل عليها ستارًا كثيفًا، تلك هي أن التصوف بدعة ملعونة لا تمت إلىٰ الإسلام بسبب، لا في مولدها ولا في أي طور من أطوار حياتها!! وأثبت فوق هذا أن الصوفية مخابيل، وأنهم في أعظم معارفهم الذوقية ومواجيدهم الشهودية المزعومة لا يصدرون عن وعي أو عقل، وإنما

يصدرون عن سكر أو جنون.

وحسبنا هذا، ولا أظن أن الدكتور العزيز يطيق أن نفهم عنه أنه يدعو إلىٰ اتخاذ السكر أسوة، والجنون قدوة، أو إلىٰ أن نؤمن بأن السكر أهم مصدر من مصادر المعرفة، وأن المعارف المستمدة عنه هي فيض الكشف والشهود الذي يتحدىٰ الوحي في سموه ويقينه وصدقه وجلاله، أن يكون مثله!!.

ولقد دمغ الدكتور الجليل أحب الصوفية لديه، وآثرهم بمودته وإجلاله، وهو: (ابن الفارض)، دمغه بما يدمغ به الفسوق عن الحق، وإليك نص قول الدكتور فيه: (وابن الفارض فيما انتهىٰ إليه من الوحدة، وفيما عبر به عن هذه الوحدة لم يكن بدعًا من الصوفية، وإنما كان مثله كمثل كثير منهم يرىٰ ما يرون من وحدة الرب والعبد، أو الحق والخلق، أو الله والعالم)(١) ففي هذه الفقرة يثبت الدكتور نفسه أمرين. أولهما: إيمان الصوفية بالوحدة التامة بين الخالق والخلق، أو بأن الله هو عين خلقه.

والأمر الآخر: هو أن ابن الفارض آمن كإيمان هؤلاء الصوفية، بأن وجود الخلق عين وجود الخالق!!.

وما أظن أن الدكتور العزيز يستطيع أن يزعم أمام تلاميذه بأنه يؤمن بهذا، أو بأن هذا الكفر الأصم إيمان، وإلا فليدلنا الدكتور علىٰ دين إلهي زعم هذا الزعم تلميحًا أو تلويحًا!!؟.

ونحن نعرف أن القرآن حكم بكفر من قالوا: إن الله ثالث ثلاثة. فما بالك

---

(١) ص(٢٠٧) ابن الفارض والحب الإلهي.

بمن يزعمون أن الله عين كل شيء، لا ثالث ثلاثة فحسب، لكن ما بالنا نحاول الإتيان بدليل من غير كلام الدكتور - وهو الاعتراف - والاعتراف أصدق الأدلة كما يقولون - فقد قرر الدكتور أن ما دان به هؤلاء الصوفية وابن الفارض إنما هو نتيجة التأثر بتراث غير إسلامي أصلًا.

إذ يقول: (وجد الصوفية أنفسهم أمام تراث من الأنظار العقلية، والأذواق الروحية، والعقائد الدينية، فإذا هم يستغلونها، ويتأثرون بها علىٰ أوجه مختلفة من الاستغلال والتأثر، وقد كان ابن الفارض واحدًا من هؤلاء الصوفية، ولا بد أن يكون لهذا التراث العقلي والروحي أثره ومذهبه⁽¹⁾).

بل إن الدكتور العزيز ليدمغ حجة الصوفية الأكبر.. وهو الغزالي الذي وصفه جولدزيهر بأنه صالح بين بدعة التصوف وبين السنة. وهو تعبير دقيق يكشف عن مدىٰ جناية الغزالي علىٰ السنة، ويؤكده ما قاله الدكتور نفسه وإليك نص قوله: (والغزالي علىٰ الرغم من أنه كان في فلسفته وفي تصوفه متأثرًا بالفلسفة اليونانية. إلا أنه كان مع ذلك معنيًّا بأمور الدين، حريصًا علىٰ أن يلائم بين فلسفته وتصوفه، وبين أحكام الكتاب والسنة⁽²⁾، نراه يقرر حقيقة لا ريب فيها - ومن أجلها جانبه خير أصحابه وخير تلاميذه كالقاضي عياض وغيره - هي أن الغزالي كان متأثرًا بالفلسفة اليونانية في فلسفته وفي تصوفه، وحقيقة أخرىٰ هي أن الغزالي كان علىٰ بينة من أن الإسلام يناقض الفلسفة والتصوف، اللذين تأثر فيهما بالفلسفة

---

(١) (٢٠٧) المصدر السابق

(٢) (٢٠٩) المصدر السابق.

اليونانية، فحرص علىٰ أن يلائم بين النقيضين، ولن تكون هذه الملاءمة إلا علىٰ حساب الإسلام، فهذا هو الشأن دائمًا عند كل من يحاول التقريب بين الحق والباطل!!.

أكان ثمَّت ما يضير الغزالي لو أنه أخذ مباشرة بالكتاب والسنة، ووفر جهده الذي بذله في الملاءمة بين وحي اليونان ووحي الله ليبذله في سبيل الدفاع عن بيت المقدس والصليبية تلوث بدنسها - في أيامه - أقداسه؟!!

فماذا بعد أن أقام الدكتور بنفسه البينة علىٰ أرقىٰ معارف الصوفية كما يُزْعم لها من صلته بالإسلام؟!

أيفرض علينا الدكتور أن ندير ظهورنا للوحي الإلهي، ونقبل علىٰ الفلسفة اليونانية نعب من نفاياتها القذرة؟

ثم يعرض الدكتور رأي ابن الفارض في: قدم الروح المحمدي، وفي إيمانه بأنه هو حقيقة الوجود، ومفيض الوجود والحياة، وهوية كل نبي وولي، وحقيقة آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وغيرهم من أصحاب النبوات والرسالات. وبأنه ما كان إلا نبي واحد ظهر علىٰ مدىٰ الدهور في صور مختلفة، فله - كما يقول الجيلي - تنوّع في ملابس، وظهور في كنائس. ذلك النبي الواحد الذي ظهر في صور مختلفة هو الحقيقة المحمدية، أو الحقيقة الإلهية في تَعَيُّنها الأول!!

وبعد هذا العرض يقول الدكتور: (نستطيع أن نرد ما قاله ابن الفارض في قدم الروح المحمدي... إلىٰ مصدر زرادشتي فقد ورد في أحد كتب الديانة الزرادشتية - وهو (زند آفستا) - أن الصفي والولي والكلمة الذكية، كل أولئك

كان قبل أن تكون السماء والماء والأرض والأنعام والأشجار والنار) فماذا بعد؟[١]

أتنكر لرسالة محمد ﷺ، ونؤمن بضلالة زرادشت؟؟

ما أظن أن الدكتور يستطيع أن يدعونا إلىٰ هذا، وإن كان قد زعم أن أفكار ابن الفارض هنا أفكار إسلامية!!

إن ابن الفارض - كما اعترف الدكتور - غنوصي[٢] في وحدته، ومجوسي في قطبيته فماذا بقي له؛ لينتسب به إلىٰ الإسلام؟؟

ثم يتكلم الدكتور عن وحدة الأديان عند ابن الفارض، فقال شارحًا لرأيه: (كل ما هنالك من ملل ونحل ليس في حقيقته إلا مجرد وسائل يتوسل بها إلىٰ غاية واحدة هي عبادة إله واحد هو حظ مشترك بينها جميعًا).

---

[١] ص(٢٨٨) المصدر السابق.

[٢] **الغنوص**: كلمة يونانية معناها في الأصل «المعرفة» غير أنها أخذت بعد ذلك معنًىٰ اصطلاحيًّا خاصًّا هو إدراك الأسرار الإلهية بواسطة الكشف.

والذي أصبغ عليها هذا المعنىٰ طائفة عاشت في القرون الأربعة الأولىٰ من ميلاد المسيح، منهم مسيحيون - نصارىٰ -، ومنهم يهود، ومنهم وثنيون، غير أنها تطورت علىٰ يد «باز ليدس وفالنتينوس» وغيرهما.

فقد قام هذا بمزج المذاهب المختلفة من فارسية وسريانية وأفلاطونية وفيثاغورية ورواقية بالمسيحية واليهودية وكونوا من هذا كله نوعًا من الصوفية.

يقول الأستاذ النشار: «وقد استطاع الغنوص أن يسيطر علىٰ الصوفية، ودخلت فكرة الثنائية بين المادة والله في عقائدهم». [نظرات في التصوف ص(١١) للشيخ عبد الرحمن الوكيل، يسر الله إخراجه] (ض).

ثم يقول عن ابن الفارض: (وبين لنا كيف ينبغي أن ينظر الإنسان بعين الجمع إلىٰ الأديان المختلفة، فلا يفرق بين دين ودين، وإلىٰ الكتب الدينية، فلا يؤثر كتابًا علىٰ كتاب، وإلىٰ الفرق المتعددة، فلا ينحاز إلىٰ فرقة من دون فرقة؛ إذ الأديان كلها من الله)[1].

والدكتور العزيز الذي يقدس قيم التصوف - إن كانت له قيم - ويحرص كل الحرص علىٰ تبيان حقائق غير مشوبة بشيء آخر، لا بد وأن يترك لنا الحرية في التعبير عما نشعر به. وفي أن نقول له - غير باغين علىٰ حقه علينا كأستاذ سابق: رويدك يا دكتور. فقد طوح بك التصوف بعيدًا بعيدًا بعيدًا!!

ولا ريب في أنه سيحقق لنا طمعنا في رحابة صدره، فيجيب في صراحة ووضوح عن هذه الأسئلة:

هل المسيحية بصليبها وثالوثها، وتأليهها لبشر. وعشائها الرباني. وخمرتها التي تتحول إلىٰ دم المسيح، وخبزها الذي يتحول إلىٰ لحم المسيح. هل هذه المسيحية هي عين الإسلام بصفاء توحيده، وجلال نقاء عقيدته؟!.

وهل الأسفار التي ألفتها أهواء متىٰ ولوقا ومرقص ويوحنا وبولس هي القرآن، أو تساويه، أو ترف منها نفحة واحدة من هديه؟!

وهل اليهودية بأحقادها وبغيها، وتجسيمها المادي الأصم، وحكمها علىٰ الله بأنه يندم ويتعب، وعلىٰ عيسىٰ بأنه سليل الخطيئة، وطاغوت يتقلب في النار، وعلىٰ العالم كله بأنه في عماية وضلالة، وزعمها أن هذا العالم كله سيصير يهوديًا،

---

(١) ص(٢٨٩) وما بعدها المصدر السابق.

وتحت أقدام سادة اليهود، وقولها - باغية - إن الله يقضي ثلاثة أيام من كل أسبوع هو وملائكته في قراءة التلمود... أهذه اليهودية هي عين الإسلام؟

وهل أسفار اليهود بما فيها من قسوة وجحود وجور ومجانة وفسوق هي القرآن؟

وهل التلمود بما فيه من فجور الكفر وسفالة الخلق وعدوان علىٰ مقدسات أرفع القيم الروحية هو القرآن؟

وهل المانوية بثنويتها الطاغية، والمزدكية بشيوعيتها الباغية، والبوذية باستغراقها في ذهول العدم، والبرهمية بفنائها في طلسم مجهول. هل هذه الشهوات البشرية هي هدىٰ الله من الإسلام؟

هل نطمع في أن يجيب الدكتور العزيز بصراحة عن سؤال واحد؟ فقط عن سؤال واحد يا دكتور!!

إن ابن الفارض وابن عربي، وأشياعهما يجيبون بصراحة وبغي جرأة. وسفه قحة عن تلك الأسئلة كلها بنعم، فهم يزعمون أن كل دين سواء أكان وضعيًّا أم إلهيًّا إنما هو حق يفيض من قدس الحقيقة. وكان لا بد لهم من افتراء هذا الزعم؛ ليوافق دينهم في وحدة الوجود، فالحقيقة الإلهية هي الصنم وعابدة الصنم، وهي فرعون وجحوده، وهي إبليس وفجوره، وهي أبو جهل وعمايته النكدة. بل إن الصوفية الإشراقية - علىٰ إيمانها بالوحدة التامة بين الظاهر والمظاهر - لتصف الله بالشر أكثر مما تصفه بالخير، فتراها تخصه بإجلالها وهو يبدو في صورة فرعون - كما تزعم - أكثر مما تفعل. وهو يبدو في صورة موسىٰ!! ومعاذ الله.

* * *

أنصار السنة وأشياع التصوف (٢)(١)

(من كتاب وجهت نصفه في العدد السالف إلىٰ الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي أستاذ التصوف والفلسفة بجامعة القاهرة ومعهد الدراسات العليا. بمناسبة ما يقرره لتلاميذه عن الصلة الوثيقة - في ظنه - بين التصوف والإسلام، وهذه بقية الكتاب وقد بدأتها بالتعليق علىٰ مسألة وحدة الأديان).

* * *

وإني لَأُجِلُّ الدكتور العزيز عن أن يزعم لنا أن القرآن يؤيد ما يدين به الصوفية وهو أن المجوسية أو اليهودية، أو الصليبية ما هي إلا حقيقة الإسلام!!

وأجله أيضًا عن أن يستشهد مرة أخرىٰ بهذه الآيات القرآنية التي استشهد بها في كتابه: ابن الفارض والحب الإلهي، فإني أعتقد أنه يشعر تمام الشعور أنه قد تجنىٰ علىٰ الحق باستدلاله بهذه الآيات علىٰ أن اليهودية والإسلام دين واحد!! أو علىٰ رأي ابن الفارض في وحدة الأديان رأي متوج بالحكمة والعدل والصواب!! وأعتقد أيضًا أن الدكتور يؤمن تمامًا أنه يضع هذه الآيات في غير موضعها، وأنه يحاول التقريب بين النقيضين؛ فالآيات التي استدل بها تقرر أن الدين الذي أوحاه الله إلىٰ رسله دين واحد. هو دين الإسلام، وقد ظل الرسل يبشرون به واحدًا بعد واحد من قِبَل الله، حتىٰ أرسل الله محمدًا، فأتم الله النعمة، وأكمل الدين بالكتاب الذي نزله عليه، وتقرر أيضًا أن القرآن وحده هو المهيمن علىٰ الكتب الإلهية

---

(١) (١٢/ ١٣٨١).

جميعها، فلا يجوز لمسلم أن يعمل بشيء من الإنجيل أو التوراة - علىٰ فرض وجودها - إلا بعد أن يوقن بأنه في القرآن.

ولكن ابن الفارض يزعم شيئًا آخر - والدكتور يعرف هذا جيدًا - هو أن الصليبية حق مطيب بروحانية السماء. وكذلك اليهودية والمجوسية والمانوية. والزرادشتية، وكل ضلالة اتخذتها شهوات الطغاة دينًا!! لأن هؤلاء الطغاة البغاة الذين افتروا هذه الأديان ما هم إلا تعينات للحقيقة الإلهية.

كما يزعم ابن الفارض أن الإسلام لا يمتاز بشيء عن تلك المفتريات التي جُعِلت دينًا، وأن القرآن صنو الأسفار الصليبية التي افتريت، وسميت أناجيل، وعين الأسفار التي زيفها عزرا الكاهن وسميت توراة.

وإليك أبيات ابن الفارض:

فبي مجلس الأذكار سمع مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حلمًا سوىٰ يدي ... وإن حُلَّ بالإقرار بي، فهي حَلَّت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البد عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبية
فقد عبد الدينار معنىٰ منزه ... عن العار بالإشراك بالوثنية
وقد بلغ الإنذار عني من بغىٰ ... وقامت بي الأعذار في كل فرقة
وما زاغت الأبصار من كل ملة ... وما راغت الأفكار من كل نحلة
وما احتار من للشمس عن غرة صبا ... وإشراقها من نور إسفار غرتي

وإن عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم سواي. وإن لم يظهروا عقد نية
رأوا ضوء نوري مرة، فتوهمو ه نارًا، فضلوا في الهدىٰ بالأشعة⁽¹⁾

يسوي في القدسية بين مجلس الذكر وحانة الخمر. وبين رواد مجالس الأذكار ورواد حانات الخمور! ويسوي بين اليهودية والمسيحية والوثنية. وعبادة النار. وعبادة الكواكب وبين الإسلام!!

ولقد حكم حكمًا عامًّا شاملًا بتصويب كل ضلالة وهذا في قوله:

وما زاغت الأبصار من كل ملة وما راغت الأفكار من كل نحلة

والفكرة في سياق النفي تفيد العموم والشمول، فماذا يقول الدكتور؟ ماذا يقول وابن الفارض يصوب عبادة الأصنام، وعبادة النار، وعبادة الكواكب؟ ليأتنا الدكتور بدليل يحترمه المسلمون يبيح لنا أن نجمع بين هذه الضلالات المتباينة، وأن ندين بها، ويؤكد لنا أننا بهذا الدين الأمشاج ننال رضوان الله!!

أما ابن عربي، فقد ذهب مع الزندقة إلىٰ آخر مداها، فحكم بنجاة فرعون. وقرر أنه لا يوجد عذاب في الآخرة وإليك قوله عن فرعون في كتابه فصوص الحكم: (نجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه. ونجىٰ بدنه. فقد عمته النجاة حسًّا

---

(١) التائية الكبرىٰ من ديوان ابن الفارض، طبع مكتبة الآداب، الطبعة الخامسة. وإليك بعض معاني المفردات: **عين طليعة**: رقيب يتقدم مقدمة الجيش. **الزنار**: وهو ما يشد به الكاهن أو الراهب وسطه. **والبيعة**: الكنيسة. **الكليم**: موسىٰ ﷺ. **البد**: بيت الصنم. **زاغ البصر**: كل وضل. **راغ**: حال عن الحق مكرًا وخديعة. **السفرة**: الغفلة. **صبا**: مال. **الإسفار**: الإشراق.

ومعنىٰ)، ويقول عن نفي العذاب في الآخرة:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فأنهم علىٰ لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمىٰ عذابًا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن

وابن عربي في هذا متلائم مع إيمانه بوحدة الوجود. فما دام كل شيء هو الله. فإن الله لا يعذب نفسه.

أما عبد الكريم الجيلي فحكم بنجاة إبليس؛ وصوب كل زندقته، وإليك قوله عن إبليس:

مم خلق إبليس؟ يقول القرآن إنه خلق من مارج من نار فماذا يقول الجيلي؟ يقول: (خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ)(١) فهل يقول هذا مسلم؟

مصير إبليس:

القرآن يقول إن مصيره جهنم مع من أضلهم. أما الجيلي فلا يرضيه حكم الله علىٰ سيد الصوفية إبليس: (إذا انقضىٰ يوم الدين. فلا لعنة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية في يوم الدين)، ثم يقول: (فلا لعنة بل قرب محض، فحينئذ يرجع إبليس إلىٰ ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي)(٢).

---

(١) ص(٤١) جـ(٢) الإنسان الكامل.

(٢) صـ (٤٢) جـ(٢) المصدر السابق.

إذا كان هذا هو مصير إبليس عند الصوفية، فهل يخاف إنسان عذابًا؟ فليعد من يشاء وليبغ من شاء، فما ثم رب يعذب. وإنما ثم مجانة تعربد على أقدس الأخلاق!!

وإني لأرجو الدكتور أن يقول كل هذا لتلاميذه الأساتذة، حتى لا تخفى عليهم حقيقته، وما أظن أن الدكتور سوف يستطيع إقناع واحد منهم بأن هذا الذي يقوله الصوفية فيه نفحة إسلامية، فتلاميذك الأساتذة يا دكتور أحرص على الحق وقداسته مما يظن بهم، وفوق ما قد يتخيل أحد من أن رنين السحر في ألفاظ الصوفية قد يفتنهم عن جلالة الحق من مثل الجذب والوجد والهيام والذوق والإشراق والتجلي. والقبض والبسط. والاصطدام وغير هذا مما اصطنع التصوف من خداع السحر، ورياء التعاقد!!

دين الله واحد!!

نعم. وهي عقيدة كل مسلم.

وقد دعا بهذا الدين نوح وإبراهيم وموسى، وعيسى، وختم بما نزل على محمد. ولكن أي دين يا دكتور؟

إنه دين الإسلام، أما هذه الزندقات التي نجمت؛ لتتحدى وحي الله بباطلها، وهذه الأحقاد التي اضطرمت؛ لتدمر ما بنى الهدى والحق والخير، ثم سميت صليبية أو يهودية أو مجوسية أو وثنية، فمعاذ الله أن نبغي عليه، ونبهته بأنه جل شأنه أرسل نبيًا واحدًا بشيء منها، ومعاذ الله أن نبهته كذلك بأنه - وهو الواحد المعبود - يدعونا إلى عبادة صنم أو عجل من دونه!!

كما يقول أئمة الصوفية: فليس الله بمتناقض ولا خبيث، حتى يدعونا إلى الجمع بين التوحيد والشرك وإلى التلوث بخطيئة الوثنية، ثم إني أرجو من الدكتور

الجليل - وهو لماع الفكر رحيب الخيال مشبوب العاطفة أن يتصور ذلك المصير الأسود الرهيب الذي نتردىٰ فيه، لو أن طائفة منا نفرت، لتبشر في آسيا وإفريقية بما يقوله الصوفية. فنقول لهم هناك: لا حاجة بكم إلىٰ قرآن، أو إسلام وليعتصم كل منكم بخرافته وبدعته وصنمه ووثنيته وصليبيته، فالأمر كله إسلام، والكتب كلها قرآن!

وهل يشد من أزر الصهيونية والاستعمار دعوة كهذه الدعوة؟! ولم لا، وهي تؤكد أن عدوان الاستعمار، وبغي الصهيونية، إنما ينبعثان عن الحقيقة الإلهية الكامنة في كل يد وقدم وعين ولسان!! لقد قالت الصوفية عن كفر فرعون: إنه كفر إله، وعن جحود إبليس إنه جحود إله، فكلاهما المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية، فلم لا تقول كذلك عن الصهيونية وعن الاستعمار؟!

أرأيت القاصمة الناشفة المدمرة يا دكتور، لو أنا أخذنا بما يبشر به أئمة التصوف؟!

قد يبتسم دكتورنا الجليل في إشفاقة مشوبة بالسخرية من جهالتي، وفي غمغمة صوفية حالمة يقول: ومن قال: إن الصوفية قدس مباح لكل عابد، ومحراب لكل ساجد. فإنما هي لفئة خاصة من الناس كشفت لهم الحقيقة الإلهية عن سرائرها، فرأوها عين كل شيء؟!

وهنا أقول للدكتور، ويقول معي كل مسلم: وإنا لنعوذ بالله سبحانه أن نكون من أولئك الذين يفترون هذا، فإنا نعلم أن موسىٰ - وهو من أولي العزم من الرسل - خر صعقًا حينما تجلىٰ ربه للجبل!! وأن الله قال له: لن تراني، ونعلم أن خاتم النبيين والمرسلين لم يخلع علىٰ نفسه وشاح هذه الأسطورة الملحدة، ولم يزعم

أنه رأىٰ الله، أفقومك يا دكتور خير من موسىٰ، ومن خاتم الرسل؟

كما نعوذ بالله من دين يزعم مفتروه أنه لفئة دون فئة؛ لأن من خصائص الإسلام أنه للجميع في أصوله وفروعه!!

إن دكتورنا العزيز كان بالغ الدقة في تحديده لميلاد عمر بن الفارض، وبذل جهدًا مضنيًا في سبيل أمر لا تتعلق بإثباته مصلحة دين أو دنيا، أو تهذيب نفس، أو تقويم خلق، وبذل الجهد المضني الشاق في سبيل الفصل في قضية الاتصال المزعوم بين ابن الفارض وابن عربي، وحشد لهذه وتلك المراجع والمصادر والقوىٰ الفكرية المسنونة؛ ليؤكد للقارئ أنه الحفي بالحقيقة.. فما لدكتورنا الجليل لا يدرع بهذا، وهو يتكلم عن صلة التصوف بالإسلام؟!

ترىٰ ماذا كان يفعل الدكتور لو أنني نسبت بيتًا واحدًا من التائية الكبرىٰ إلىٰ غير ابن الفارض؟

لو أنني فعلت، لأقام الدكتور الدنيا، وأقعدها، ولرمىٰ في وجهنا بأننا علىٰ جهالة مركومة علىٰ ضلالة!!

فما لدكتورنا الجليل ينسب إلىٰ الإسلام أنه صوفية؟

ما لدكتورنا يزعم أن القرآن يؤيد وثنية الجاهلية، ومجانة المجوسية، وضلالة الصليبية، وحقد اليهودية وماديتها الصماء؟!

إنه لمما يثير الدهشة أن يحشد الدكتور أرقه وسهده ولياليه الساهرة علىٰ الضنىٰ والمشقة، والمراجع والمصادر المختلفة. والمحابر والأقلام؛ ليثبت أن ابن الفارض قد ولد في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـ.

ولكنه فيما يتعلق بأصول الإسلام لا يكلف نفسه سوىٰ التقليد، وسوىٰ أن

يردد زعم الصوفية أنها إسلام دون أن يأتينا حتىٰ بفرض يمكن أن يتجاوز العقل عن محكم أحكامه فيرضاه فرضًا!!

ومما يثير الدهشة أيضًا أن يغلو الأستاذ الدكتور الجامعي في تصديق هؤلاء القوم غلوًّا يخجل الصوفية نفسها إن كانت تعرف الخجل!!

فالصوفية نفسها تقرر أن دينها لا صلة له بعقل أو نقل، لأنها تؤكد أن معرفتها مستمدة عن طريق الكشف والشهود، أو الذوق الفردي، أما الإسلام فيقرر أن مصدره وحي الله الذي نزل كتابه الخاتم علىٰ رسوله الخاتم محمد ﷺ، ولننظر في نتائج هذه المعرفة الشهودية المزعومة، لنرىٰ هل تلائم الإسلام أو لا، وسنختار آثر الصوفية بمحبة الدكتور وإجلاله وهو ابن الفارض ونأخذ عن تائيته الكبرىٰ، ونضعها تحت أنظار تلاميذ الدكتور وأنا علىٰ ثقة من أنهم سيدمغون ابن الفارض بما يدمغه الحق به، وهو أنه في تائيته مارق علىٰ الإسلام.

الوحدة بينه وبين الخالق:

يقول في غلو زندقته وزعمه أنه الأعظم:

أممت إمامي في الحقيقة فالورىٰ ... ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي
يراها أمامي في صلاتي ناظري ... ويشهدني قلبي إمام أئمتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت ... بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلىٰ ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلىٰ سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلىٰ كم أوافي الستر ها قد هتكته   وحل الحجب في عقد بيعتي

يزعم أنه إمام الدنيا، ووجهة الخاشعين في صلواتهم، وأن الحقيقة الإلهية تصلي له كما يصلي هو لها، وأن المصلي في الحقيقة واحد هي الحقيقة الإلهية المتجلية في صورة ابن الفارض.

وإني التي أحببتها لا محالة   وكانت لها نفس علي محيلتي
فهامت بها من حيث لم تدر وهي في   شهودي بنفس الأمر غير جهولة
وقد آن لي تفصيل ما قلت مجملًا   وإجمال ما فصلت بسطًا لبسطتي
أفاد اتخاذي حبها لاتخاذنا   نوادر عن عاد المحبين شذت

وبعد أن أجمل عقيدته التي قامت علىٰ أساس من زعمه أنه متحد بالخالق، أو أنه هو هو، راح يفصل ما أجمل:

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي   وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي
جلت في تجليها الوجود لناظري   ففي كل مرئي أراها برؤية
وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني   هنالك إياها بجلوة خلوتي
وطاح وجودي في شهودي وبنت عن   وجود شهودي ماحيًا غير مثبت
وعانقت ما شاهدت في محو شاهدي   بمشهده للصحو من بعد سكرتي
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها   وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت
فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها   وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن   منادًىٰ أجابت من دعاني ولبت

وإن نطقت كنت المناجي كذاك إن   قصصت حديثًا إنما هي قصت
فقد رُفعت تاء المخاطب بيننا   وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

إن الحقيقة الإلهية كامنة في كل شيء يراه، ولكنها تتمثل في جمالها وكمالها الأعظم في شخصه هو، فإنه هو المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية بصفاتها وأسمائها وأفعالها، فإن كلمت ابن الفارض فأنت تكلم الله!!

وما شان هذا الشأن منك سوىٰ السوىٰ   ودعواه حقًّا عنك إن تمح تثبت
كذا كنت حينًا قبل أن يكشف الغطا   من اللبس لا أنفك عن ثنوية
أروح بفقد بالشهود مؤلفي   وأغدو بوجد بالوجود مشتتي
يفرقني لبي التزامًا بمحضري   ويجمعني سلبي اصطلامًا بغيبتي
إخال حضيض الصحو والسكر معرجي   إليها ومحوي منتهىٰ قاب سدرتي
وغيري علىٰ الأغيار يُثْني وللسوىٰ   سواي يُثَنِّي منه عطفًا لعطفتي

كان قبل أن تنبثق الحقيقة في نفسه ثنويًّا يؤمن بوجود خالق، فلما كشف عنه الغطاء لم يجد سوًىٰ أو غيرًا، وإنما وجد واحدًا فقط يتجلىٰ في صورة خلق مشهود.

كان عقله يؤكد له أنه غير الله، ولكن جذبة الحق تأخذ به، فيوقن أنه هو الله.

وصرحْ بإطلاق الجمال ولا تقل   بتقييده ميلًا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها   معار له بل حسن كل مليحة

لا تقل عن الحقيقة الإلهية: إنها عين هذا أو ذاك فحسب، وإنما قل: هي عين كل شيء، فهي الوجود والموجود والكائن والمكون والعبد والرب.

ففي النشأة الأولىٰ تراءت لآدم   بمظهر حوا(١) قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يكون بها أبا   ويظهر بالزوجين حكم البنوة
وكان ابتدا حب المظاهر بعضها   لبعض ولا ضد يصد ببغضة
وما برحت تبدو وتخفىٰ لعلة   علىٰ حسب الأوقات في كل حقبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر   من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنىٰ، وأخرىٰ بثينة   وآونة تدعىٰ بعزة عزت
ولسن سواها لا ولا كن غيرها   وما إن لها في حسنها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها   كما لي بدت في غيرها وتزيت
بدوت لها في كل صب متيم   بأي بديع حسنه وبأيت

ولا ينسىٰ ابن الفارض دعارته التي فجرت بصبواته تحت أقبية الليل مع جواريه ومغنياته، فيزعم أنه ما من عاشق إلا وهو الحقيقة الإلهية، وما من معشوقة إلا وهي كذلك؛ فالحقيقة الإلهية الكامنة في كلها تعشق نفسها!!

فما زلت إياها وإياي لم تزل   ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
وليس معي في الملك شيء سواي   والمعية لم تخطر علىٰ أَلْمَعيتي

يعود فيؤكد الوحدة الثابتة بينه وبين الحقيقة الإلهية بكل ما يتأتىٰ له من ألفاظ التوكيد؛ وتدبر المؤكدات في البيت الأول، وفي الثاني يزعم أن ما ثم في العالم إلا الله المتجلي في صورة عمر بن الفارض وأنه لم يَدُرْ بخلده أبدًا أن يكون معه غيره!!

---

(١) يقصد حواء زوج آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشر. (ض).

منحتك علمًا أن تُرد كشفه فردْ سبيلي وأشرع في اتباع شريعتي
فمنبع صدىً من شراب نقيعه لدي فدعني من سراب بقيعة
وجُلْ في فنون الاتحاد ولا تحد إلىٰ فئة في غيره العمر أفنت

يدعو الناس إلىٰ الإيمان بشريعته القائمة علىٰ أساس الوحدة التامة بين الخلق والخالق أو الاتحاد بينهما.

عليها مجازي سلامي فإنما حقيقته مني إلي تحيتي

يزعم أنه إذا ما ذكر الله، فإنما يذكره علىٰ سبيل المجاز؛ هذا لأنه هو الله!

وشكري لي والبر مني واصل إلي ونفسي باتحادي استبدت
وإني إياها كذات ومن وشىٰ بها قد وشىٰ عنها صفات تبدت

هذه بعض أبيات التائية الكبرىٰ التي تزيد عن سبعمائة بيت، أفيستطيع الدكتور أن يزعم أن هذه الزندقة إسلام؟!

كلمة أخيرة:

إن الخطورة في الأمر هو أن الدكتور لا يكتب، أو يدرس ليشرح مفهوم التصوف ومسائله كشأن الباحثين عن الحقيقة؛ وإنما يكتب ويدرس ليثبت أن التصوف إسلام في شطحاته ونطحاته، وعجره وبجره، في زندقته التي تؤكد أن العبد والرب حقيقة واحدة؛ وأن المجوسية هي الإسلام، وأن الصهيونية هي الإسلام، وأن الصليبية هي الإسلام.

لهذا أقول للدكتور: إننا لن نسكت علىٰ ما تبثه يا دكتور، ففيما تفعل هدم لأمتنا، وتقويض لنهضتنا، وقضاء علىٰ مقوماتنا، وفصل للأمة عن دينها الذي أقامها.

لن نسكت أبدًا علىٰ هذا، وسنكشف للناس حقيقة أهداف التصوف؛ وهي أهداف أقل ما يقال عنها: إنها تبغي القضاء علىٰ القرآن.

وكلمة أخرىٰ أقولها للدكتور: إنني أرجو أن يتفضل مشكورًا فيحدد هو بنفسه المكان والزمان الذي يمكن أن ألتقي به فيهما في مناظرة علنية، ليفصل المسلمون في هذه القضية فصلًا عادلًا وحكيمًا، فهل يقبل الدكتور؟

وإني لأرحب به في دار أنصار السنة؛ ليتكلم علىٰ منبرها بما شاء، وأنا زعيم له - بعون الله - ألا يقاطعه مسلم وهو يتكلم؛ ليسمع منا في النهاية كلمة القرآن.

ترىٰ هل يتفضل الدكتور؟

وإلا فسنظل نقول له: قد يؤْذَنُ لك في أن تدرس التصوف وتقدسه، وتدعو إلىٰ الإيمان بنتائج سكره وذهوله، ولكن لن يأذن لك مسلم في أن تقول عن التصوف: إنه إسلام.

* * *